**المحاضرة رقم 02**

* 1. **الماهية التاريخية لاستخدامات الأنثروبولوجيا:**

تعتبر الأنثروبولوجيا أكثر تعقيدا من السوسيولوجيا، بسبب تعدد الرؤى البحثية فيها وتنوع زوايا البحث في دراسة الإنسان. فالفيلسوف مثلا يجعل الإنسان أساس تفكيره وانشغالاته، والطبيب يفكر ويهتم بالأنثروبولوجيا الفيزيقية التي تختص بدراسة السمات الفيزيقية التشريحية والمرضية للأفراد من خلال العرق والجنس والوراثة والتغذية. أما السوسيولوجي، غالبا ما يميز بين الإثنوغرافيا التي تختص بالوصف الامبريقي لأفعال البشر وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والتي تهتم بدراسة قوانين الحياة الاجتماعية وبين الأنثروبولوجيا الثقافية، والتي بدورها تعطي أهمية بالغة لعملية الانتشار الثقافي[[1]](#footnote-1).

وهذا ما يفسر توسع الطموحات البحثية لهذا العلم والمختصين به، مما جعله في تداخل ملحوظ مع العديد من العلوم والفروع المعرفية، أهمها العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية.

واعتبارا بأن الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وثقافته، فهي تهتم بدراسة الإنسان العاقل وأتباعه، لأن الإنسان هو نفسه عضو في الجماعة الإنسانية التي يقوم بدراستها، وقد يكون من الصعب عليه تحقيق الموضوعية ذاتها الموجودة في علوم الطبيعة. لكن يبقه شكل الموضوعية متجسدا بوضوح لدى المختصين بالدراسات الاجتماعية والإنسانية، وبصفة خاصة لدى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا.

ولقد استطاع العالم الإنجليزي هادون تتبع تاريخ استخدام اصطلاح الأنثروبولوجيا إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية. فقد لاحظ أن الفيلسوف أرسطو قد استخدم هذا الاصطلاح للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه. لكن هذا المعنه يختلف حاليا عن المعنه الحديث للاصطلاح. وفي عام **1501**م، استعمل هذا الاصطلاح كعنوان لكتاب المفكر هوندت الذي تكلم فيه عن خصائص جسم الإنسان من الناحية التشريحية. كما ظهر هذا المصطلح سنة **1533**م في كتاب الأنثروبولوجيا للمفكر كابالا، والذي درس فيه الصفات الشخصية الفردية. وفي عام **1655**م، ظهر هذا الاصطلاح لأول مرة في اللغة الإنجليزية في كتاب "أنثروبولوجيا-مجردة" والذي اختص موضوعه بالطبيعة البشرية في علم النفس وعلم التشريح، وهكذا تدريجيا، انتشر هذا الاصطلاح إلى أن أصبح له مفهوم واضح في القرن التاسع عشر ميلادي[[2]](#footnote-2).

وكما سبق، فإن الإنسان هو الذي يحدد موضوعات هذا العلم بعيدا عن مؤثرات الزمان والمكان، لكن اتساع مجال النشاط الأنثروبولوجي قد زاد من صعوبة التحكم في هذا العلم وتحديد موضوعه بدقة. حيث نجد أن الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، تشارك علم الاجتماع في العديد من المواضيع والقضايا، مما يصعب التمييز بين العلمين، بل يرى المختصين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، أن ما يسمه بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ما هو في الحقيقة إلا علم الاجتماع ولكن بتسمية مغايرة[[3]](#footnote-3).

* 1. **مفاهيم ذات صلة:**
     1. **الإثنوغرافيا:**

للإثنوغرافيا (**Ethnography**) تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

* تمثل فرعا من البحث الأنثروبولوجيا بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية. تجمع هذه الدراسات بدرجات متفاوتة بين عناصر وصفية وأخرى تحليلية، ولكن السمة الأساسية للإثنوغرافيا التقليدية تتمثل في أنها تركز عله ثقافة أو مجتمع معين، وتبحث عن تعميمات نظرية أو مقارنة من وجهة نظر المثال الإثنوغرافي. ويعود أصل البحث الإثنوغرافي الحديث إلى مالينوفسكي، الذي ركز – كجزء من نظريته الوظيفية في المجتمع – عله أولوية البحث الميداني والملاحظة بالمشاركة وإلى بواس (**Boas**)الذي ناهض – مثل مالينوفسكي – التاريخ التأملي لنظرية التطور ودعا إلى الوصف الدقيق لثقافات معينة
* الناسوت ( الاثنوغرافيا): إن الناسوت يكاد يكون موضع اجماع بين الدارسين. فالناسوت هو الجزء الوصفي من النياسة (**ethnos**)قوم، ناس (**graphien**) وصف، وهو يتخذ في كثير من الأحيان صيغة الأدروسة (المونوغرافيا ) التي تتناول جماعة مجتمعية معينة، أو مؤسسة تضم عدة جماعات (تقنيات، زواج، عبادة دينية ...) و يعتبر ليفي-ستروس أن الناسوت هو المرحلة الأولى من العمل، مرحلة جمع المعطيات. وهي مرحلة تستوجب القيام عادة بتحقيق ميداني قوامه المعاينة المباشرة.
* الناسوت: أما **راد كليف**-**براون** أحد مؤسسي المدرسة الانجليزية فيرى أن الناسوت هو فوق ذلك "معاينة الظاهرات الثقافية ووصفها خاصة عند الشعوب المتخلفة".
* وتعتمد الدراسات الإثنوغرافية ... في دراسات الإنسان، إذ تعبر الحدود الفاصلة بين التخصصات وتحشد الطاقات العلمية والبحثية المتنوعة، ملقية الضوء عله كل ما يحيط بالإنسان من ظروف، وعله تفاعله مع هذه الظروف وما أحدثه من تغيرات مادية ملموسة أو معنوية أوقيمية مجردة في بيبته، كما تدرس البيبة الجغرافية والطقس ووسائل العيش والتكنولوجيات المحلية والفلكلور والأساطير وألعاب الأطفال وعلاقة القرابة.

إذن فالإثنوغرافيا وصف للظاهرة الأنثروبولوجية ومختلف أبعادها تمهيدا لتحليلها.

* + 1. **الإثنولوجيا**:

للإثنولوجيا (**Ethnology**) تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

* هي الدراسة التاريخية والمقارنة للثقافات أو الشعوب، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها كماعرفها علم الإثنولوجيا السوفيتية أو الأوروبية. وقد عرف "كروبر" ميدان دراسة الإثنولوجيا بأنه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا. بينما ميز "**راد** **كليف** **براون**" الإثنولوجيا، التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية. ويستخدم مصطلح الإثنولوجيا بدلا من مصطلح الأنثروبولوجيا في عديد من الدول الأوروبية، وخاصة دول شرق أوروبا، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك "علم عام لدراسة الإنسان،" بدون الدراسة التاريخية والميدانية للثقافات الجماهيرية – والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.
* كلمة النياسة (اثنولوجيا): حدد "**مارسيل** **غريول**" النياسة، في الخمسينات، عبر محاضراته أولا ثم في كتابه "منهج الناسوت" بؤنها الفرع المعرفي الذي يحيط بنشاطات الشعوب المادية والروحية ويدرس تقنياتها وأديانها وشرابعها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية وفنونها لغتها وأعرافها.

إذن فالإثنولوجيا هي الدراسة التاريخية والمقارنة للمجتمعات ومختلف نشاطاتها.

* + 1. **الأركيولوجيا**:

للأركيولوجيا (**Archaeology**) تعريفات متنوعة نذكر منها ما يلي:

* الأركيولوجيا:" هي كلمة مشتقة من الكلمتين اليونانيتين (**Archais**) و (**Logos**)الأولى تعني قديم أو عتيق بنما تعني الثانية علم أو دراسة ومن هنا أته تفسير أركيولوجيا بؤنه العلم الذي يقوم بدراسة المخلفات العتيقة.
* هي مدخل في علم الآثار أرسه دعابمه "لويس بنفورد " (**Lewis** **Binford** ) الذي يؤكد عله ضرورة المعالجة الجادة للمادة الأثرية وترتيبها التاريخي من ناحية، استخدام هذه المادة العلمية – من ناحية أخرى – في صياغة الفروض حول التطور الاجتماعي الثقافي الإنساني واختبارها. وهكذا تتجه الأركيولوجيا الجديدة نحو الاقتراب شيبا فشيبا من اهتمامات الأنثروبولوجيا، وترتبط بالنظريات الأنثروبولوجية للتطور الاجتماعي الثقافي للإنسان.
* علم الآثار أو الأركيولوجيا: هي البحث في القطائع والانفصالات في التاريخ بواسطة منهج يعتمد عله مجموعة من القواعد والمعطيات والخطابات المتميزة...وماهي في الأكثر أو الأقل إلا إعادة الكتابة: في شكلها الخارجي إنها تغير منظم لما كتب سابقا.

إنها ليست العودة إلى سر الأصل بل بالعكس انها وصف منظم، منهجي ومنسق لما يسمه الخطاب- الموضوع- عله سبيل المثال: ان لوحة الموناليزا تمثل موضوعا في علم الحفريات، وخطابها الأركيولوجي هو البحث في رموز الوجه و تقاسيمه، شكل الألوان وخصوصا ولماذا رسم "ليوناردو- دافنتشي" بلون دون لون آخر؟ ولماذا جعل من الموناليزا مبتسمة ومكتئبة في الوقت نفسه؟.

**إذن: الأركيولوجيا هي الخلفية الماضية المادية وغير المادية التي أسست للمجتمعات الحالية.**

1. - André Akoun et Pierre Ansart: **Dictionnaire de sociologie**, Coll ; Dixionnaire de Robert, édition Seuil, Paris-France, 1989., p29 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1975، ص 11، 12. [↑](#footnote-ref-2)
3. - جمال معتوق، **الفروع والمداخل النظرية للأنثروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة- مصر، 2016، ص 17، 18. [↑](#footnote-ref-3)